في أهبة الرحيل إلى البعيد

أيها الكبير المتعال!

لقد فتحنا أعيننا على المشاهد والمعارض الساحرة التي نثرتها على طريقنا ودعوتنا لمشاهدتها... مشاهدة آثار صنعتك الخارقة والرائعة والأبدية التي هي بعض التجليات الخفية لجمالك. وذلك ضمن كرنفال من ألوان وصور ولوحات في الطبيعة تذهل العقول وتأخذ بالألباب بجمالها وتناسقها.. ثم مشاهدة التناسق والتناسب الموجود بين الأشياء وبين الحوادث.

في فرصة رؤيتك من خلال كتابك الكريم نحس وكأننا نملك أجنحة ونطير إليك بأرواحنا، وفي ضوء أسمائك الحسنى التي نطل من منافذها ونرى النظام والتناسق في الكون ونسمع النغمات الحلوة المتناسقة التي تشكل "كورساً" و"سمفونيات" تصدح في أرجاء الكون... عند ذلك تثمل أرواحنا وتغيب عن الوجود في ظلال أسرار العالم العلوي الذي هو منبع كل صور الجمال.

من خلال المنافذ التي انفتحت في قلوبنا، وأمام عيون إيماننا بدأنا نطل على العالم البعيد... عالم فيما وراء هذا العالم. وتجرأنا لمشاهدة شجرة طوبى في الجنة لأن بذرتها موجودة في قلوبنا... وطمحنا في السفر إلى ما وراء الأفق... بل إلى ما وراء الوراء... سفر طويل مرهق ولكنه لذيذ... في سفرنا ورحيلنا هذا جعلنا بيان كتابك دليلاً ومرشداً لروحنا، وأسماءَك الحسنى وصفاتك هادية لنا.

شرحت لنا في كتابك الكريم العالم الآخر حتى أدق تفاصيله ورسمت لنا

لوحات رائعة عنه، وعندما أنعمت على عبد محظوظ من عبادك بنعمة المعراج، انفتحت أبواب أسرار هذا العالم على مصاريعها. وأصبح بإمكان قلوب العارفين الارتفاع إلى ذلك العالم في سياحة مباركة... فإن لمست أصابعنا مطرقة أبواب الأسرار، وتجرأنا على ذلك على الرغم من عدم نضوج روحنا فنحن نطلب العفو والصفح.

يا خالقنا العظيم! الجميل فوق كل جمال... أنت الذي أوصلتنا إلى شاطئ الوجود، وأذقت قلوبنا اللذة اللانهائية للوجود... أنت من بسط الكون الواسع الرحب أمام أنظارنا مثل كتاب... وأنت من هز قلوبنا بأسرار الوجود... أنت من جعلت قلوبنا شاطئاً تضربه أمواج الأسرار اللاهوتية... لو لم توجدنا لكنا عدماً... لو لم تجعل هذا الكون صحيفة مفتوحة، ولو لم ترسل لنا الأدلاء والمرشدين العظام ليُعَرِّفُونَا بك ويصفوك لنا لما عرفناك، ولقضينا حياتنا جهلة وميتي القلب... لو لم تهبنا نعمة تعريفنا بك، كيف كنا نستطيع أن نصل إلى إدراك الذات الإلهية أو الوصول إلى سر العلاقات بين العالم الخارجي وبين قلوبنا؟ وكيف كنا ندرك العلم الحقيقي والمعرفة الحقيقية لو لم تنقش العلم الأولي في قلوب فطرتنا؟ كيف كنا نعرفك، وكيف كنا نصل إلى التوله بك والشوق إليك؟

نحن العبيد أمام عتبة بابك... الومضات الموجودة في قلوبنا من ضياء نور وجودك... بكل ما نملكه من نعم نعمةٌ منك وعطيةٌ منك نعلن هذا مرة أخرى، ونعترف بأننا عبيد فضلك وكرمك ونجدد عهدنا معك.

لقد أردنا يا سلطان القلوب الذي لا تطمئن القلوب إلاّ بذكره أن ننقل إلى القلوب الميتة -الشبيهة بقلوبنا- حقائق ما علّمتنا وما أوصلت إلى أرواحنا من أمور... دخلنا إلى معترك الحوادث، ورجعنا إلى أنفسنا لنرسم إطاراً عاماً لسير الخطى، ومن النوافذ المطلة على وجودك حاولنا البحث عن الطرق الموصلة إليك. وعندما حاولنا أن نوصل سعادة ذلك اليوم -الذي

سنراك فيه دون حجاب ولا ستر- إلى القلوب الفجة التي لم ترتبط كما يجب بالحقائق السامية التي لا يستطيع التعبير عنها سوى أجمل العبارات وأنقاها وأصفاها... كنا نريد إيصال هذه الحقائق إلى القلوب التي تعلقت بالقشور وتهافتت على الجمال الظاهري لهذا العالم فجفت أرواحها. من أجل هذا قمنا بضرب الأمثال الواقعية للحقائق القدسية المجردة. ولكن ربما عجزنا عن تقديم الحقائق بكل صفائها ونقائها وأخطأنا، وربما اختلطت أهواؤنا بمحاولتنا هذه دون أن ندري.

إن كنا قد أخطأنا وتعثرنا، فقد تعثرنا ونحن نسير نحوك ونحاول أن نرشد الآخرين إليك، وإن شاب القصور عملنا، فقد شابه ونحن في الطريق المؤدي إليك. ولكن الخطأ هو الخطأ، والقصور هو القصور على الدوام... نحن الذين على جباههم علامات العبودية لك ننتظر بقلوبنا المكلومة وأرواحنا الخاشعة حكمك، ونرضى به كل الرضا. وعندما نقول هذا نؤمن بأن رحمتك الواسعة واللانهائية قد سبقت غضبك. وندري أنّ الخطأ والقصور يليق بنا نحن عبيدك، ولكننا نعلم علم اليقين بأن العفو والمغفرة تليق بك.

أجل! "السلطنة تليق بالسلطان، والتسول يليق بالمتسول".

فإن سامحتنا فإننا سنحتفظ بحقائق السياحة للعالم الآخر في صدورنا، ونرجع لنتفحص ولنتأمل صفحات كتاب الكون الذي أنت صاحبه، ونستمع وننصت إلى المرشدين والأدلاء إليك ونستمع إلى ترانيم هذا الكون الذي يسبح لك. فاشرح صدور من يريد الإقبال عليك يا رب السموات والأرض.

الغاية المتوخاة من العلم

بما أن الحياة الحقيقية بالنسبة للإنسان تكون قائمة بالعلم وبالعرفان. لذا فالذين يهملون التعلم والتعليم يعدون أمواتاً وإن كانوا على قيد الحياة. ذلك لأن الغاية من خلق الإنسان هي النظر والتأمل وتحصيل المعرفة ونقل ما تعلمه إلى الآخرين.

* * *

إن صحة القرارات والتدابير التي يتخذها أي فرد تتناسب مع ما يملكه من عقل ومنطق. أما العقل والمنطق فيتنوران بالعلم والمعرفة ويترقيان بنسبة درجتهما نحو الكمال. لذا فمتى ما خلا موضع من العلم والمعرفة ترى العقل عاطلاً والمنطق خادعاً والقرارات خاطئة.

* * *

لا تظهر إنسانية الإنسان واضحةً إلا عند محاولته التعلم ثم تعليم غيره وتنويره. والذي لا يحاول التعلم -مع كل جهله- ولا يفكر بذلك ولا يجدد نفسه بما تعلمه ولا يكون قدوة لغيره هو إنسان بالصورة فقط وليس بالسريرة.

* * *

أما الأمور التي يجب تعلمها ثم تعليمها للآخرين فيجب أن تكون متعلقة بكشف ماهية الإنسان وأسرار الكون. وكل علم لا يكشف أسرار النفس الإنسانية ولا ينير النقاط المظلمة في الوجود ولا يحل العقد المستعصية لا يعد علماً.

* * *

إن المنصب والمقام الذي يُستحصل بالعلم والمعرفة أسمى وأدوم من المناصب والمقامات المستحصلة بالطرق الأخرى. ذلك لأن العلم يُبعد صاحبه في الدنيا عن السوء ويجعله من أرباب الفضائل. كما يجعله من أصحاب السعادة في الدار الآخرة بما يحصل عليه من منصب ومرتبة لم يكن يتخيلهما.

* * *

على كل أب وأم ملء رؤوس أطفالهما بالعلم والمعرفة من قبل أن يتم ملء هذه الرؤوس بما لا ينفع، لأن القلوب الخالية من الحقيقة، والأرواح الخالية من المعرفة بمثابة مزارع صالحة لإنبات كل الأفكار الضارة ولنمائها. ويكون الحصاد من نوع البذور التي بُذرت فيها.

* * *

إن الغاية من تعلم العلم هو اتخاذ المعرفة مرشداً وهادياً للإنسان ولتنوير الطرق التي ترقى بالإنسان نحو الكمالات الإنسانية. لذا فالعلوم التي لا تتناول الجانب الروحي للإنسان تكون عبئاً على صاحبها. وكل معرفة لا توجه الإنسان إلى الأهداف السامية ليست إلاّ عبئا للقلب والفكر لا فائدة منها.

العلم هو أن تعرف
أن تعرف نفسك
فان لم تعرفها
فالعفاء على ما قرأت

(الشاعر يونس أمره)

يُعد العلم الذي وضحت غايته وهدفه وسيلة بركة دائمية لصاحبه، وكنزا لا يفنى. والذين يملكون مثل هذا الكنز يكونون بمثابة نبع ماء

سائغ شرابه يرده الناس طوال حياتهم وبعدها، ويكونون وسيلة خير. أما الفرضيات الجوفاء التي تلقي الشكوك والريب في القلوب، وتعتم الأرواح والتي لا تملك أهدافا واضحة فهي كومة من المزابل التي تطير حولها الأرواح الكدرة واليائسة، وتكون فخا ومصيدة للأرواح.

إن العلم والصناعة تحتويان فروعا عديدة، وكل فرع له فوائده للجميع. ولكن بما أن عمر الإنسان قصير وقابلياته محدودة، فلا يستطيع استيعاب جميع هذه العلوم. لذا كان على كل فرد أن يتعلم ما يفيد نفسه وأمته، ولا يضيع عمره سدى في أمور لا ضرورة ولا حاجة لها.

ورجل العلم الحق هو الذي يعمل ويجري بحوثه في ظل أصدق البيانات والمعلومات وينظمها في ظل التجارب العلمية وعلى هداها. لذا يكون باله مطمئنا على الدوام .

أما بعض النفوس المسكينة المحرومة من معرفة الحقيقة فتظل تغير طريقها واتجاهها، وتقضي عمرها في إطلاق الحسرات والأنين، لأنها لا تستطيع التخلص من أوهامها المريضة.

* * *

إن قدر كل شخص وقيمته مرتبطة بمضمون وغنى العلم الذي حصله. والذي يستغل علمه في مجال الشائعات تكون قيمته بقيمة تلك الشائعات. أما الذي يستغل علمه ويستعمله كمنشور في تحليل الحوادث والأشياء، ويوجه علمه لإضاءة المناطق المظلمة والطيران وإنارتها بعلمه ومعرفته للوصول إلى الحقائق الموجودة فيما وراء الطبيعة، فقدره وقيمته بقيمة علو طيرانه.

حفظ السر

السر كالعرض، فمن صان سراً -سواءً أكان له أم لغيره- فكأنه صان عرضه. ومن باح به فكأنه خان شرفه وكرامته ولم يراع حرمة ذلك السر حق الرعاية.

* * *

يجب أن يكون الشخص الذي يودع أي إنسان سره لديه أميناً أمانة من لا يتردد في إيداع عرضه عنده، وأن يكون واثقاً أنه سيبدي نفس حرصه هو في صيانة عرضه. فكما لا يجوز إيداع أمانة لدى شخص غير أمين كذلك لا يجوز إيداع السر لدى من لا يعد السر عرضه وشرفه.

* * *

صيانة السر واحترام أسرار الآخرين ميزة إنسانية مرتبطة بالإرادة والإدراك. فالذين يفتقرون إلى الإرادة لا يستطيعون حفظ السر، كما أن السذج والبسطاء الذين لا يدركون عواقب ما يعملون أو ما يقولون لا يمكن أن يكونوا كتومين.

* * *

الذي يودع سره إلى شخص سبق وأن أفشى سره عدة مرات يبرهن على مدى عجزه في اختيار من يودع إليه السر، ويدل كذلك على ضعف إدراكه. أما الذي نضج قلبه بالإيمان، وإنفتحت بصيرته فلا يمكن خداعه ولا استغفاله مثل هذا الاستغفال.

* * *

لا شك أن على الشخص أن يقدم البيانات والتوضيحات المناسبة متى ما

كانت هناك ضرورة لذلك. ولكن عليه أن يحذر من فتح قلبه وإفشاء أسراره دون أي داعٍ. وليعلم وليتذكر بأن الذين يفتحون قلوبهم ويفشون أسرارهم هنا وهناك دون أي موجب سيضرون بأنفسهم وبمجتمعهم ضرراً بليغاً وقد يدفعون به إلى التهلكة.

* * *

على الإنسان أن يحذر من إفشاء أسراره هنا وهناك حذراً شديداً.. ولاسيما إن كانت هذه الأسرار أُموراً قبيحة ولا تؤدي إلى أي نتيجة مفيدة. فهذا سيخجل أصدقاءه ويفرح أعداءه في أكثر الأحيان، ويؤدي إلى أمور لا تحمد عقباها.

* * *

لقد خلقت الصدور كي تكون صندوقاً للأسرار، والعقل قفلها، والإرادة مفتاحها. فإن لم يكن في القفل وفي المفتاح أي ضرر أو عطل لما كان بإمكان أحد الاطلاع على الجواهر الموجودة في هذا الصندوق.

* * *

بما أن الشخص الذي يفشي لك أسرار الآخرين سيفشي سرك أيضاً للآخرين، إذن يجب ألاّ تعطي فرصة الاطلاع على أي أمر من أمورك مهما كانت ضئيلة الأهمية لمثل هؤلاء الأشخاص غير المتوازنين.

* * *

هناك سر يتعلق بالفرد، وسر يتعلق بالأسرة، وسر يتعلق بالمجتمع وبالأمة أجمعها... فعند إفشاء سر فرد تتعرض كرامة الفرد للانتقاص. وعند إفشاء سر العائلة تتعرض كرامة العائلة للانتقاص. وعند إفشاء سر مجتمع تتعرض كرامة المجتمع والأمة للانتقاص. لأن السر يشكل قوة لصاحبه ما بقي في الصدر، ولكنه ينقلب إلى سلاح يستعمل ضده إن انتقل إلى أيدي الآخرين. لذا قال أجدادنا: "سرك أسيرك، فإن أفشيته كنتَ أسيره".

* * *

وكمبدإ، كم من أمور مهمة كان من المفروض أن يحتفظ القائمون بها سراً، إلاّ أنهم عجزوا عن ذلك فلم يستطيعوا من ثم تسجيل خطوة واحدة إلى الأمام. بل إن عدم احتفاظهم بالسر أدى في بعض الأحيان إلى وقوعهم في مخاطر جدية. ويكتسب هذا الأمر أهمية استثنائية إن كان متعلقاً بحياة الأمة وبقائها.

* * *

على الإنسان أن يحذر من إيداع أسراره لشخص أحمق. فعلاوة على احتمال سوء النية عنده فقد يفشي أسرارك وهو يظن أنه يسدي إليك معروفا.

الحيطة

اتخاذ الحيطة تصرف مهم يحول دون الوقوع في الخسارة في أي أمر أو في أي فعالية من دون مواجهة المصائب ثم إطلاق الحسرات. فما أكثر المحاولين الذين لم يراعوا الأسباب حق الرعاية وكانت النتيجة الحتمية أنهم لم يجدوا أمامهم إلاّ إطلاق الزفرات أو ندب حظهم ولوم القدر. فهم يقصرون في رعاية الأسباب في البداية، ثم يقعون في الخطأ عندما ينتقدون القدر.

* * *

تتناسب أهمية الحيطة ومراعاة اتخاذ التدابير اللازمة مع أهمية الهدف الذي تستهدفه أي محاولة أو نشاط. لذا فإن لم يقم أي شخص بتنظيم أعماله والأخذ بنظر الاعتبار الأرباح والخسائر المحتملة للمسؤولية التي أخذها على عاتقه، ونسبة أهمية ومقدار هذه المسؤولية فهو إما شخص غير جدي في أعماله هذه، بل شخص مغامر، أو هو شخص ساذج وأحمق. وقيام هؤلاء الحمقى بمثل هذه المحاولات أسوأ من الجمود وعدم الحركة.

* * *

إن اتخاذ الحيطة والتدابير اللازمة رأسمال كبير للإنسان الذي يأمل الوصول إلى مبتغاه. وإبداء أي تراخ أو إهمال خطأ كبير، إذ سيؤدي في النتيجة إلى تبادل الاتهامات، والإنسان العاقل هو الشخص الذي يجد الحلول اللازمة للأضرار المتوقعة ويتلافاها قبل ظهورها. أجل فكما قال أجدادنا: "عليك أن تمسك بتلابيب النشال قبل أن ينشلك".

* * *

على كل إنسان أن يتناول كل عمل ضمن خطة مسبقة وتدبير، وعليه تجنب كل شيء لا يؤدي في النتيجة إلى فائدة مادية وفضيلة معنوية تجنباً قطعياً. فكل محاولة لم يؤخذ لها مثل هذا التدبير منذ البداية تعد عبثاً. والاشتغال بالعبث يدل على نقصان عقل ذلك الشخص وطفولة عقليته.

* * *

إن أي شخص يستطيع أن يظهر قدره وقيمته ويبرهن عليها عندما ينجح في اجتياز الامتحانات الصعبة والظروف غير المواتية. ونجاح الدعوة في ظل هذه الشروط يستند قبل كل شيء إلى خطة محكمة والتصرف والحركة ضمن هذه الخطة. وعلى هذا فقدر أي شخص وقيمته تتناسب مع مقدار نجاحه، ويتناسب نجاحه مع صحة القرارات التي اتخذها قبل البدء في مشروعه وعمله تناسباً طردياً.

* * *

كما أن اتخاذ الحيطة لا يعني الخوف والتراجع إلى الوراء لأنهما شيئان مختلفان تماماً، كذلك فإن التصرفات البعيدة عن الحيطة وعن اتخاذ التدابير اللازمة لا علاقة لها بالشجاعة والبسالة.

صحيح أن الإفراط في الشق الأول قد يؤدي إلى بعض الأضرار والخسائر ولكنها أضرار يمكن تلافيها. أما الذين يعدون عدم أخذ الحيطة شجاعة

وتكون تصرفاتهم متسمة بالدونكيشوتية فإن أسلوبهم هذا يكون خطراً وضاراً على الدوام.

* * *

وككل خصلة رديئة فإن الخروج لاصطياد الجماهير تحت عناوين تحبها هذه الجماهير هو مما ورثناه عن الغرب. ويرى الذين يتبنون هذه الفكرة اللقيطة أن من الطبيعي إحداث ضوضاء في كل حركة كالضوضاء التي تطلقها الدجاجة وهي تضع بيضة واحدة، بينما نرى نحن أن كل نشاط يجب أن يجري في سكون وصبر يحاكي سكون وصبر المرجان الذي يتكاثر بهدوء ودون ضوضاء في أكثر الأماكن هدوءاً وبعداً عن الأنظار.

* * *

إن منزلة الإنسان عند الله تعالى تقاس بعلو همته. وأبرز علامات علو الهمة هو تضحية الإنسان بمنافعه وبملذاته الشخصية في سبيل سعادة الآخرين. ولا أدري أهناك تضحية أكبر من قيام الإنسان بالدوس على كرامته وشرفه في سبيل سلامة المجتمع وكظم غيظه بدلاً من إطلاقه زئير الغضب، ووضع القيود على جميع رغباته الشخصية فيما يتعلق بسعادته في كل مرة... أهناك تضحية أكبر من هذه التضحية؟

* * *

كما أن حصر نجاح "جيوش الفاتح" في شجاعة وبسالة هذه الجيوش وعدم الالتفات إلى الخطط العسكرية الحكيمة لهذه الجيوش وعدم إعطائها أي أهمية يعد غفلة وقصور فكر، كذلك فإن ربط كل أسباب النجاح بالجرأة العمياء وبالتهور وعدم إعطاء أي أهمية لاتخاذ التدابير اللازمة حماقة لا تغتفر.

* * *

إن أي حملة نشاط وفعالية مثلها مثل اتخاذ التدابير، إنما هي دعاء متوجه لله

تعالى. وهما في الوقت نفسه وجهان لحقيقة واحدة. وأي قصور يطرأ على أحدهما يؤدي في أحيان كثيرة إلى انقطاع المدد الإلهي والعناية الإلهية مما يؤدي إلى الفشل. والاستمرار في السير دون تعثر إنما يمكن فقط عندما يكون هذا السير مستنداً كل لحظة إلى البصيرة الواعية. فطوبى لمن أدرك هذا وفهمه.

الشورى

"سل خبيراً.. فخبرتان اثنتان أفضل من خبرة واحدة".

الشورى هو الشرط الأول لصحة القرارات المتخذة وصوابها. والقرارات المتخذة حول أمر ما أو مسألة ما إن لم يتم التمعن فيها جيداً وعرضها على أفكار الآخرين لنقدها ستنتهي في النتيجة إلى الخسران والهزيمة. ومن الملاحظ أن الشخص المنغلق بأفكاره والذي لا يحترم أفكار الآخرين ويكون بمعزل عنهم يكون معرضاً للأخطاء -وإن كان شخصاً ممتازاً بل عبقرياً- أكثر من الشخص الذي يستشير الآخرين في كل أفكاره.

* * *

أعقل الناس هو أكثرهم احتراماً للشورى، وأكثرهم استفادة من أفكار الآخرين. إن نفوس وأرواح الذين يكتفون بأفكارهم عند قيامهم بأي نشاط بل حتى بفرض أفكارهم على الآخرين لم تنضج بعد، لذا فلا يثيرون سوى النفور عند الآخرين.

* * *

وكما أن الشورى شرط أولي للحصول على نتائج جيدة. فإن الرجوع إلى آراء الأصدقاء وعدم إهمالها وسيلة مهمة ضد حصول نتائج وخيمة.

* * *

قبل مباشرة أي نشاط يجب القيام بكل الاستشارات اللازمة وعدم القصور في اتخاذ التدابير اللازمة لكي لا يتم اتهام هذا وذاك ونقد القدر فتتضاعف بذلك المصيبة الناتجة عن سلوك طريق خاطئ. أجل! فقبل القيام بأي عمل وبأي نشاط إن لم يتم التفكير جيداً في العاقبة وإن لم تؤخذ آراء المجربين فلا يمكن التهرب من عاقبة خيبة الأمل والندامة.

* * *

كم من نشاط وعمل بدئ به دون إمعان فكر، لذا فلم يتم تسجيل خطوة واحدة فيه إلى الأمام... ليس هذا فحسب بل خسر القائمون به سمعتهم كذلك. أجل! فالشخص الذي يحاول تحقيق كل ما يخطر على باله، عندما يصاب بخيبة الأمل عاجلا أم آجلا نتيجة سلوكه مثل هذه الطرق الخاطئة، يقع في اليأس حتى في الأمور التي يستطيع إنجازها.

* * *

على الإنسان ألاّ يفتح أبداً أبواباً لا يستطيع سدها، وإلاّ تسربت إلى الداخل أنواع من الشرور من المنافذ المفتوحة، وهذه الشرور تقضي على الآخرين وعلى كرامته ايضاً. فكم من غافل انساق وراء خيالاته دون أن يستشير أحداً فلدغته الثعابين التي نبهها وأيقظها من جحورها فأخرجته خارج الصف وشلت حركته. والخطب قد يكون يسيراً لو أنه وحده كان الخارج من الصف ووحده المشلول.

المسامحة

افتح صدرك للجميع... افتحه أكثر ما تستطيع... ليكن كالبحر... لتمتلئ بالإيمان وبمحبة الإنسان... لا تبق خارج اهتمامك أي قلب حزين لا تمد له يدك.

* * *

صفق للأخيار بسبب خيرهم وفضلهم، وكن ذا مروءة تجاه المؤمنين، وكن لينا تجاه المنكرين إلى درجة تذوب معها أحقادهم ونفورهم، وكن دائماً كالمسيح عليه السلام في سماحته وفي أنفاسه التي كانت تحيي كل شيء.

* * *

لا تنس أنك وراء مرشد كبير على علاقة وثيقة بالسماء يسير على أفضل صراط وأقومه.[1] لاتنس هذا، وفكر في الذين لا يملكون حتى صفة واحدة من صفاته هذه... فكر بهذا وكن منصفاً.

* * *

ادفع السيئات بالحسنة، ولا تهتم كثيراً بالسلوك المفتقر إلى الذوق، فكل إنسان يعكس طبيعته وأخلاقه بتصرفاته وسلوكه. أما أنت فاختر لنفسك طريق المسامحة، وكن كريماً عالي النفس حتى أمام الذين لا يعرفون قواعد السلوك والخلق.

* * *

أهم ما يميز القلب الذي يهتز بالإيمان هو أنه يحب الحب ويعادي العداوة... أما الذي يكره الجميع وينفر منهم فهو إما شخص سلم قلبه للشيطان أو هو شخص مريض... أما أنت فليكن شعارك هو حب الإنسان والإنسانية.

* * *

مع كل حذرك إياك أن تسقط بين أنياب نفسك وسيطرتها ولو مرة واحدة. ذلك لأن الجميع سواك -في نظر هذه النفس- متهمون، وكل شخص آخر هو شخص غير سوي وغير جيّد. وهذا الاعتقاد حسب قول الصادق صلى الله عليه وسلم يسبب هلاك صاحبه. إذن فكن صارماً تجاه نفسك ولين الجانب تجاه الآخرين قدر استطاعتك.

* * *

---

(١) المقصود هو الرسول ﷺ. (المترجم)

انتبه إلى أنماط السلوك والتصرف الذي يحبب لك الآخرين ولا تنس أن هذه الأنماط من السلوك هي التي ستحببك للآخرين... وتصرف على الدوام بما يليق بالإنسان، وكن يقظاً على الدوام.

* * *

اتخذ من معاملة الحق تعالى لك مقياساً لكي تتصرف على ضوئه مع الناس. عند ذلك تكون مع الحق وأنت وسط الناس وتتخلص بذلك من وحشة الوحدة... من وحشة الوحدة والابتعاد عن الله، ومن وحشة الوحدة مع الناس.

* * *

تستطيع أن تعرف منزلتك لدى الخالق بمقدار المساحة التي أفردها له في قلبك. وتستطيع معرفة منزلتك لدى الناس بتقييم تصرفاتك تجاههم... لا تغفل عن الحق تعالى لحظة واحدة وكن بين الناس فرداً من الناس.

* * *

إذا كان الاعتقاد بأن المؤمنين من الناس يمكن أن يسيئوا إليك.. إذا كان هذا الاعتقاد قد ملأ قلبك تماماً فاعلم أن هذا حكم غير صحيح وصادر عن قلة عقل، وهو وقوع في أسر النفس ونتيجة لذلة الروح... اعرف هذا والتمس "ربانياً" يستطيع هز قلبك وإسالة دمع عينيك.

* * *

ومجمل الكلام: لكي تحفظ منزلتك ومحبتك لدى الناس فعليك أن تحب للحق وتكره للحق، وليكن قلبك مفتوحاً للحق على الدوام.

الغاية والوسيلة

قبل القيام بأي نشاط أو عمل يجب تحديد الهدف والغاية لكي لا تغل الوسائل يد الإنسان وتربطه بها، فإن لم يتم عند القيام بالنشاطات في سبيل

الله توجيه الروح نحو الهدف، فإن الأفكار ستختلط وسيبقى هؤلاء الناشطون أسرى لها دون أن يتقدموا خطوة واحدة.

* * *

يجب أن يتوضح الهدف والغاية في مستوى الفكر ويحتل المركز الأول فيه، وإلاّ تعددت الأهداف وظهر الاضطراب والفوضى. فكم من حملة نشاط واعدة فشلت في إعطاء أي نتيجة إيجابية وأي ثمرة بسبب الفوضى في تعيين الهدف والغاية. وعلاوة على عدم وصولها إلى أي نتيجة طيبة وخيرة تخلف وراءها أكواماً من الأحقاد والنفور.

* * *

يجب أن يكون الخالق العظيم وابتغاء مرضاته هدف صاحب كل دعوة، وإلا دخلت إلى الساحة الكثير من الأصنام، وتلبس الباطل بلباس الحق وظهرت الأهواء والشهوات في مظهر الفكر، وارتكبت جرائم عدة باسم الجهاد.

* * *

أما الأعمال المتوجهة لرضا الله تعالى وحده، فإن الذرة الواحدة منها تعادل الشمس، والقطرة الواحدة منها تعادل البحار، واللحظة الواحدة منها بقيمة الأبد. وما دام الأمر هكذا فلو قلبت الدنيا إلى جنّة بل إلى جنان عن طريق لا يحبها الله تعالى لما كان لها أي قيمة، بل كانت وبالاً على صاحبها. لأن قيمة الوسائل والوسائط تقاس بدرجة توصيلها إلى الهدف دون حدوث أي خلل، لذا فكل وسيلة تشكل عثرة في الطريق تعد وسيلة ملعونة. وهذا هو الوجه الذي لعنت الدنيا من أجله وإلاّ كان من المفروض أن تكون الدنيا أهلاً للمديح لأنها محشر كبير ومرآة لتجليات الأسماء الإلهية الحسنى.

* * *

هناك طرق ووسائل عديدة للالتزام بالحق وإعلائه. وقيمة هذه الطرق

ونفاستها مرتبطة بمدى احترامها للحق تعالى وبمدى خدمتها لأفكار ومبادئ الحقيقة. فإذا كان هناك بيت يحلق بساكنيه في سماء المعرفة، وإذا كان هناك معبد ينفث في نفوس المجتمعين تحت قبته الأفكار التي تتجاوز هذه الحياة إلى الأبدية، وإذا كانت هناك مدرسة تستطيع ملء قلوب طلابها بالأمل وبالإيمان... مثل هذه الأماكن تعد أماكن مباركة. أما إن قامت هذه الأماكن بمهمات ضد المهمات المذكورة سابقاً فهي مصايد مخيفة تقوم بقطع السبيل أمام الإنسان. والجمعيات وتشكيلات الأوقاف والأحزاب السياسية أمثلة في هذا الموضوع.

* * *

على مؤسس كل مؤسسة أن يتذكر على الدوام هدف تأسيسها ووجودها لكي لا ينحرف النشاط عن الهدف، ولكي يكون العمل مثمراً ومفيداً، وإلاّ تم نسيان هدف الإنشاء والتأسيس، فتنحرف المؤسسة مدرسة كانت أم قسماً داخلياً أم عائلة عن خط سيرها مثلما ينحرف الإنسان الذي نسي الغاية من وجوده وخلقه ويعمل ضد نفسه ويضرها.

* * *

الاحتكار الفكري وادعاء صاحبه بأن الحق دائماً معه ليس إلاّ تعبيرا عن عبادة الوسيلة وإشارة إلى غياب الهدف. وإلاّ فكيف يمكن تفسير مشاعر الحقد والنفور والكراهية عند بعضهم نحو أناس يشاركونهم العقيدة والمشاعر والمبادئ نفسها؟ أليس هذا دليلا على عدم وجود هدف؟ آه من هؤلاء المساكين عبيد أنفسهم الذين يطمحون إلى إدارة العالم حسب أفكارهم العرجاء.

حب الراحة

كل دعوة سامية، وكل حقيقة تكتسب الاستمرارية وتصل إلى المستوى العالمي نتيجة عزم وإخلاص منتسبيها وجهودهم المبذولة في الحفاظ عليها. فإن حرمت أية دعوة من المنتسبين الأوفياء المخلصين الواعين الذين يحافظون عليها ضد هجوم واعتداءات أعدائها فمصيرها إلى الزوال والانهدام عاجلاً أم آجلاً والدخول إلى عالم النسيان والإهمال.

* * *

كما تأسن المياه التي فقدت حركتها وركدت، كذلك يكون الذبول والضياع مصير الكسالى الذين تركوا أنفسهم للتراخي والركود. إن الرغبة في الراحة والخمود هي أولى إشارات الموت وإنذاره. ولكن الشخص الذي انقاد لمشاعره وأحاسيسه وانشغل بها لا يفهم هذه الإشارة ولا يسمع هذا الإنذار، ولا يستفيد من نصائح أصدقائه وتحذيراتهم.

* * *

الكسل والانقياد إلى الراحة من أهم أسباب الذل والحرمان. ولا ريب أن الذين رموا بأنفسهم في أحضان الكسل فماتت أرواحهم... هؤلاء سيأتي يوم يضطرون للتذلل للآخرين للحصول على حاجاتهم المعاشية الضرورية.

* * *

فإذا أضفنا إلى هذا الحب الشديد للراحة والارتخاء الرغبة الكبيرة في التملك، كان التراجع عن خط النضال، وموت الروح أمراً مقدراً ولا مفر منه. وإذا لم يتم رصد هذا التراجع والتقهقر إلى الوراء، وتعلق النظر بمظهره الخارجي وعده رجلاً كامل الرجولة... مثل هذه النظرة نظرة خاطئة ونظرة مهلكة.

* * *

كان حب الكفاح وعشق الجهاد هو السبب في ولادة دولة كبيرة من قبيلة صغيرة.[1] وعندما احتل حب الجواري مكان عشق الجهاد تداعت هذه الدولة أنقاضاً.

* * *

عندما تركت الرغبة في الجهاد مكانها لشهوة الجواري وشهوة المساكن والقصور في النفوس، تلقت هذه النفوس صفعات شديدة من القدر على عكس توقعاتها، وحرمت من بيوتها الدافئة ومن أطفالها وأولادها.

وما أبلغ هذه الكلمات التي قالتها أم لابنها الأمير الأندلسي الذي هرب من مواجهة الأعداء وقتالهم:

"ابكِ مثلَ النساء ملكاً مضاعفاً لم تحافظ عليه مثل الرجال".

* * *

إن التغير الذي يطرأ على الإنسان فيفسده ويذبله، يطرأ تدريجياً وبشكل صامت وبطيء جداً. وقد تؤدي غفلة صغيرة أو انحراف قليل عن سير القافلة إلى ضياع كامل. ولكن أمثال هؤلاء الذين يتوهمون أنهم لا يزالون على الخط نفسه وفي الموضع نفسه لا ينتبهون إلى سقوطهم من مواقع مرتفعة ارتفاع المآذن إلى قعر عميق عمق الآبار.

* * *

ويستحيل على الذين يتركون خط المجاهدة والكفاح وينحرفون عن الخط الرجوع إلى مواقعهم الأولى عادة، ذلك لأنهم وهم يتقلبون في حمى الشعور بالذنب لا يرون أمامهم -في سبيل الدفاع عن أنفسهم- سوى سلوك نقد وتجريح إخوانهم في سلك الدعوة. فمقابل استغفار آدم عليه السلام عن زلته واستغفاره واعترافه بخطئه ورجوعه إلى موقعه السابق بقفزة

(١) يشير الكاتب هنا إلى ولادة الدولة العثمانية من قبيلة صغيرة. (المترجم)

واحدة، نرى قيام إبليس بتبرير عمله والدفاع عن نفسه على الرغم من جرمه الكبير، فاستحق بذلك اللعنة الأبدية والخسران الأبدي.

* * *

إن لأمثال هؤلاء الذين أصاب الشلل إرادتهم وعزيمتهم تأثيراً سلبياً كبيراً على روح وعزيمة المحيطين بهم. حتى أن تردداً قليلاً أو إحجاماً بسيطاً يبديه أحد هؤلاء قد يسبب هزة ويأساً في العزائم يعادل هزة موت مائة فرد. وهذا لا يؤدي إلاّ إلى تشجيع أعداء الأمة والوطن وزيادة شهيتهم في الهجوم علينا.

* * *

إن زينة الحياة الدنيا وجمالها والمال والبنين إن هي إلاّ امتحان وفتنة. والطلاب الذين ينجحون في هذا الامتحان نجاحاً باهراً هم أصحاب الإرادة القوية الذين ارتبطت قلوبهم ارتباطاً دائمياً بالحقيقة والذين أعطوا عهدهم وميثاقهم ألاّ يتزحزحوا ولا ينكثوا عهدهم وميثاقهم.

التوازن بين الروح وبين الجسد

الحياة الحقيقية هي حياة القلب. والإنسان الذي يحيا بحياة القلب يصبح كياناً فوق الزمن ويستطيع دق أبواب الماضي والمستقبل ويراهما وجهين لعملة واحدة يمكن فتحهما. فمثل هذا الإنسان لا يأبه بآلام الماضي ولا بتهديدات المستقبل.

أما الذين لم يجدوا أنفسهم في قلوبهم فتراهم -وهم يتقلبون في حياتهم الضحلة- في شكوى دائمة، وتشاؤم مستمر. فالماضي في نظرهم قبر رهيب، والمستقبل بئر لا قعر لها... فهم في عذاب مستمر سواءً أعاشوا أم ماتوا.

* * *

إن علاقة الإنسان بالماضي البعيد وبالمستقبل الذي لا نهاية له مرتبطة فقط بدرجة وبمستوى إدراكه لحياة القلب والروح. والأرواح المحظوظة التي تعيش في هذا المستوى الرفيع للحياة وتدرك علوها ترى الماضي خيمة وسدة حكم للأجداد وترى المستقبل طرقاً ممتدة نحو حدائق الجنة، وتعب من مياه الكوثر التي تفجرها في وجدانها وهي تعيش في دار هذه الحياة حتى وداعها لها.

أما البائسون الذين لم يدركوا الحياة هذا الادراك و لم يفهموها هذا الفهم فحياتهم أسوأ من الموت، وموتهم كظلمات جهنم بعضها فوق بعض.

* * *

هناك علاقة تساند وتنظيم وانضاج بين عمل الفرد وسلوكه وبين حياته الجوانية. ونستطيع أن نسمي هذه العلاقة أنها علاقة دائرة خير على عكس "الدائرة المفرغة". فكما ينعكس سلوك الإنسان المتسم بالعزم والإصرار والثبات على عالمه الداخلي وينوره، كذلك يقوم الوجدان المتنور للإنسان بشحذ إرادته وعزيمته ويفتح أمامه آفاقاً جديدة.

* * *

والمحظوظون الذين يكونون تحت إمرة الروح يتوجهون دوماً للحصول على رضا الله وعلى الفضائل الإنسانية، وبوصلتهم تشير على الدوام نحو المحراب نفسه، ونحو الدرب نفسه. قد يحدث عندهم أحياناً انحراف ضئيل عن الطريق، ولكن ندم من أعماق النفس، وأنين من أعماق الروح يكفيان لإذابة الآثام المحيطة بالقلب... إذابة هذه الآثام في أرواحهم، ثم الاستمرار على الدرب نفسه وعلى الطريق نفسه.

* * *

هؤلاء المحظوظون الذين يقومون بأداء جميع واجباتهم وفرائضهم حتى أدق تفاصيلها بكل عناية واهتمام، لا ينسون وهم يوفون حق أعمالهم الدنيوية ويقومون بوظائفهم فيها بكل عناية ونظام ودقة... لا ينسون عالمهم

الداخلي حيث يسمون ويرتفعون ارتفاع عطر البخور حتى كأنهم يشاركون الملائكة كل يوم بضع مرات في مجالسهم.

* * *

فكرة الأبدية هذه التي دخلت شعاب وشغاف قلوبنا منذ عصور عديدة والتي أوقدت فيها حب ووجد الأبدية والخلود، تركت مكانها بمرور الزمن إلى مجرد رفع شعارات شكلية جامدة والى تصوفية متخدرة خالية من الروح.. ولم يكن دور هذه الأفكار المنحوسة –التي حسبت شراراتها الضئيلة الشبيهة بشرارات اليراع نداً ومساوية لشمس الوحي– منذ ذلك التاريخ حتى اليوم ما تزال تنفث الضباب والدخان في طريقنا المضيء لتعكير دنيا إنساننا وزيادة ظلامها.

* * *

بعد كل هذا فإننا نستطيع وصف رجل الحقيقة هكذا:

هو رجل يستطيع مجابهة ومقاومة كل الدواهي ببدنه وبأعصابه الفولاذية. أما فكره وعقله فقد مزج في بوتقة واحدة معارف ومفاهيم عصره بالحقيقة الأزلية وصهرهما معاً، أي هو مثل عالم كيميائي ينشئ في كل آن تركيبة جديدة. أما ملكاته الروحية والقلبية فهي بنفس نكهة القابليات والملكات التي سحّتْ من أمثال مولانا جلال الدين الرومي[1] ويونس أمره[2] إلى بوتقة واحدة وانصهرت فيها ونضجت.

أي هو في النهاية قلب ناضج عارف، بينما يرى نفسه إنساناً وفرداً عادياً بين الناس. فإنه يستطيع أن ينسى بل يضحي بلذاته وحظوظه من أجل خير وسعادة الآخرين.

---

(١) جلال الدين الرومي: (١٢٠٧– ١٢٧٣) من أعظم شعراء التصوف. درس على أبيه بهاء الدين. رحل إلى بلاد عديدة. التقى في مدينة " قونية " بأستاذه ومرشده " شمس الدين التبريزي" فكان له تأثير كبير عليه. من أهم آثاره ديوانه "ديوان شمس تبريزي"، وديوانه الكبير "المثنوي" وكتابه المشهور "فيه ما فيه ". وهو مؤسس الطريقة المولوية. (المترجم)

(٢) يونس أمره: (١٢٣٨– ١٣٢٠): من أشهر شعراء التصوف في الأناضول. عاش في عهد سقوط الدولة السلجوية في الأناضول نتيجة غارات المغول، وفي عهد زادت فيه الهجرة من ايران وخراسان إلى الأناضول هربا من المغول. درس العلوم الفلسفية وتعلم العربية والفارسية. خدم في تكية "طابتوك أمره" ثم ساح في الأناضول. لا يعرف أين توفي، لأن هناك عدة أضرحة تنسب إليه في الأناضول. له مؤلفات "رسالة النصيحة" و"الديوان". أشعاره رقيقة ومؤثرة، وأسلوبه واضح لا تعقيد فيه. (المترجم)

رجل الدعوة

رجل الدعوة رجل ارتبط قلبه بدعوته ارتباطاً لا يتردد معه السباحة في بحور من الدم والصديد من أجلها. وهو ناضج إلى درجة أنه عندما يصل إلى هدفه يزهد بكل شيء ويعطي كل صاحب حق حقه.

هو مؤدب غاية الأدب تجاه خالقه... كل نفس يتنفسه في سبيل الدعوة ذكر وتسبيح، وكل فرد من أفراد الدعوة مبجل وعزيز عنده، يشكرهم على كل خدمة ناجحة يقدمونها للدعوة ولكن دون إفراط. لأنه يؤمن بإرادة ربه... أي هو رجل متوازن.

عندما تكون هناك خدمة لا يتقدم أحد نحوها يرى نفسه مسؤولا عنها قبل الجميع. هو منصف ويحترم كل من يعين الحق وينصره ويعمل في سبيله. عندما تنهدم مؤسساته وخططه، وتتمزق وحدة جماعته وتتفتت قوتها لا يفقد إيمانه ولا أمله وتفاؤله بل يحاول التحليق من جديد. وعندما ينجح في التحليق ويصل إلى الذرى لا ينسى التواضع والمسامحة.

هو شخص واقعي وصاحب بصيرة يعرف منذ البداية أن هذا الطريق وعر وشاق، ولكنه صاحب عزيمة وإيمان يرى معه أن طريقه لو ملئت بحفر من حفر جهنم فإنه يستطيع قطعها. هو عاشق متوله يحب دعوته التي وضع روحه في كفه من أجلها... وفيّ لها وفاء يضحي بسببه في سبيلها بروحه وبكل ما يملك دون أن يخطر على باله أبداً أنه قام بأي تضحية.

لا شكوى... بل صبر وتحمل

عندما كان الظلام لا يزال سائداً، كنت أنت من أسمعَ صوت الحق ورسالته.. الأرض والسماء تعرفان هذا حتى وإن أنكره المنكرون وجحده

الجاحدون.. ولكن إياك والشكوى وأنت تنظر إلى هؤلاء الجاحـــدين.. لأن الحق تعالى يعرف الخدمة التي تقدمها، لذا فلا يهم إن عرف الناس ذلـــك أو لم يعرفوا.

* * *

لقد قمت بما أملته عليك فطرتك السليمة وسجيتك... وأصـــبح مـــا حواليك حديقة زهور وزنابق... إذن فلم الشكوى من وجود ثلاث أو أربع أشواك بجانب كل هذه الورود والزهور؟ ولاسيما إن كان وجـــود هـــذه الأشواك نتيجة نقص عند التنشئة والإعداد.

* * *

أليس من قصر النظر ومن الخطأ لقلب متعلق بالحق وعاشق له انتظـــار مكافأة الخدمات الأخروية في الدنيا؟ أليست الدنيا وبكل ما فيهـــا فانيـــة؟ أليست الآخرة بكل جمالها وروعتها التي ينذهل أمامها العقل باقية وخالدة؟ إذن تعال ودع عنك طلب المكافأة لخدماتك وجهودك من أجل الحق... فما وراء هذا العالم وما وراء الوراء يعادل ألف دنيا.

* * *

عليك ألاّ تعتمد على إطراء الناس ومحبتهم لك، حتى وإن كانوا محقـــين، ولا تحسب ذلك علامة من علامات العظمة. وإياك إياك النظر إلى الآخرين وكأنهم أقل منك، فهذا قصر نظر شنيع. ذلك لأن القيمة والكرامـــة لـــدى الحق تعالى هي حسب درجة صفاء الروح وسمو القلب، وما أفحش خطـــأ من يجعل مقاييس الجسم معياراً للتقييم.

* * *

مع أن احترام الكبار صحيح من ناحية المبدأ، ولكن عليك ألاّ تطلـــب ذلك.. وفي مقابل عدم وجود أي سوء أو ضرر عندما يأتي هذا الاحترام لك من الآخرين دون طلب أو انتظار. ولكن إن أردته ورغبت فيه وطلبته أصبح

هذا المطلوب محبوباً لا يمكن الوصول إليه، ويغرق الطالب له والمتلهف عليه في لجة من البؤس والألم.

* * *

إياك أن تعتمد على ظن الشعب أنك شخص عظيم أو كبير. فهذا التوجه وحسن الظن بك قد يكون انعكاساً لحسن الظن بك في عالم الغيب ولا ضرر منه، ولكنه لا يعد أمراً مرغوباً فيه، أو شيئاً تحرص عليه، فهو إن أسعد الإنسان لحظة أبكاه ساعات. لذا فلا تدع المديح يأسر قلبك... فهذه أمور عارضة تقبل ثم تزول.

* * *

هل فكرت أنه كلما توسعت دعوتك امتحنت لا بأعدائك فقط بل حتى بالمحيطين بك من الأصدقاء؟ تأمل وفكر... وكن منصفاً وذا مروءة لأصدقائك الذين يستعملهم الحق تعالى كعناصر امتحان لك.

* * *

عندما تقوم بواجبك في أداء الخدمات لأمتك إيّاك أن تذكر أي معروف أسديته لأي شخص يعمل تحت إمرتك... لا تفعل ذلك وإلاّ أزعجت جميع من حواليك، ولا تنس أن ما فعلته وأديته ليس سوى وظيفة على عاتقك ولست سوى موظف في هذا الأمر.

* * *

إن لم تزدد إخلاصاً كلما قرأت كتاباً، أو حللت وقدمت أفكاراً جديدة، أو جاهدت في سبيل الله تعالى، وإن لم تَفْنَ في بوتقة الإخلاص بحيث يستوي لديك ما تتعرض له من نقمة أو نعمة... إن لم تكن كذلك فاعلم أنك تضطرب بين براثن ومخالب نفسك الأمارة... اعلم هذا وارتجف خوفاً وخشية.

* * *

إياك إياك أن تحدثني عن عظم الخدمات التي قدمتها والتضحيات التي أبديتها. ولكن قل لي أتستطيع إحالة جميع خدماتك إلى جهود أصدقائك وتعرف أنها فضل من أفضال الله تعالى ولطف منه؟ وهل تستطيع أن تكون عند بذل الجهود في الصف الأول وعند قطف النتائج في الصف الأخير؟ حدثني عن هذا... حدثني عن هذا لكي تتفتح الأزهار في قلبي.

* * *

لا تحرك نوازع نفسك وغرورها بحجة علمك أو عزة نفسك أو كرامتها، وإلاّ أفرحت أعداءك وأحزنت أصدقاءك. فإن كانت لك مزايا فدعها تُخرج سنابلها في العالم الآخر، ولتكن بطولات حياتك أناشيد أبدية تنشدها الملائكة.

التذبذب والثبات

كما أن العثور على الحقيقة وعشقها مهم، فإن التمسك بها والوفاء لها والثبات عليها مهم بالدرجة نفسها. إن من وصل بروحه إلى نور الحقيقة من الصعب عليه تغيير وجهته وطريقه. أما الذين يغيرون محاريبهم صباح مساء فهم إما أشخاص بؤساء لم يصلوا إلى الحقيقة، أو حمقى لم يدركوا قيمة الحقيقة حق الإدراك.

* * *

المحظوظون الذين جعلوا قلوبهم شواطئ لبحر الحقيقة لا يعرفون الارتواء منها، فتراهم كلما ضربت موجات الحقيقة شواطئ قلوبهم يقولون بكل شوق ورغبة "هل من مزيد؟" عند هؤلاء انتهى البحث عن الطريق... لقد عثروا على محرابهم واستقرت أرواحهم.

أما المتذبذبون فهم إما من قصيري النظر الذين لا يعرفون أسلوب

البحث، أو من عديمي الإدراك ممن لا يميزون الفرق بين البحث وبين الظفر بما يبحث عنه واكتشافه. فالذي يبحث هو الذي سيجد ويظفر. أما القاعدون في أماكنهم الذين يحسبون أنهم عثروا على بغيتهم... هؤلاء سيبقون في أماكنهم وسيدورون حول أنفسهم طوال حياتهم.

* * *

الذين يحافظون على مواضعهم ولا يتخلون عنها يعلمون أن هذه المحافظة أول شرط للتغلب على الأعداء والوصول إلى الهدف المرسوم. أما الذين يتركون مواضعهم في الجبهة فليعلموا أنهم دخلوا في دائرة الخسران منذ أن فارقوا مواضعهم وابتعدوا عنها.

* * *

كل فار من الجبهة سيكون مُداناً أمام ضميره أولا ثم أمام التأريخ وأمام الأجيال القادمة... مُداناً من قبل نفسه لأنه يكون قد نال صفعة لسيره ضد هدفه. والثبات في الموضع والمحافظة على الجبهة يعد رمزاً للشجاعة في كل دعوة كبرى. أما عبيد النفس الذين يدورون مع الريح أينما دارت فلا يمكن أن يفهموا هذا، وهم لا يريدون أصلاً فهمه. أما الإنسان الحقيقي فما أن يدرك الحقيقة ويفهمها حتى يستحيل على المنافع والمصالح تقييد رجليه، ويستحيل على الخوف أن يقطع طريقه ويمنع سيره، ولا تستطيع الشهوات إغراءه وربطه بالدنيا... يعجزون عن هذا لأنه يتخطاهم جميعاً وكأنه طائر أفرد جناحيه وطار.

* * *

إن المذبذبين يغيرون آراءهم ومواضعهم دون توقف عند أداء الخدمة الإيمانية، لذا تراهم لا يهزون ثقة الآخرين بهم وحدهم، بل حتى ثقة أصدقائهم وإخوانهم في الدعوة. فكما تتقلقل وتفسد المسيرة المنتظمة لجماعة أو لفصيل بخروج أحدهم من وسطه وتفسد المسيرة المتناغمة، ويظهر

الاضطراب فيها، كذلك فإن خروج بعض الأعضاء من جماعة متساندة ومتناغمة فكرية يؤدي بأصدقائهم إلى الإحباط والتشاؤم، ويغرق أعداءهم في الغبطة والسرور.

* * *

الذين يسقطون في درك التردد وعدم الاستقرار، وينقضون العهد الذي قطعوه على أنفسهم بين فينة وأخرى، سيأتي يوم يفقدون الثقة بأنفسهم، ويدخلون شيئاً فشيئاً تحت تأثير الآخرين. وبمضي الوقت يفقد هؤلاء المشلولين روحيا شخصياتهم تماماً، لذا يصبحون عناصر ضارة لأنفسهم وللمجتمع الذي يعيشون فيه.

* * *

هؤلاء الذين إنسحقوا أمام حسابات تافهة من حسابات المنصب أو الشهرة أو المقام أو الشهوة... ماذا سيقول هؤلاء وكيف يتصرفون عندما تحيط المنافع بأفق الدعوة مثل قوس قزح، وتقبل الدنيا عليها؟ وكيف سيتصرفون في الأيام التي يحيط فيها الخوف والإرهاب والفتن بالدعوة؟

* * *

إن تاريخ البشرية حافل بقصص آلاف الأبطال الذين استولوا على القلاع والحصون والمدن بكفاحهم وعرقهم ودمائهم، ثم كيف خسروا هذه القلاع والمدن إلى الأبد نتيجة خيانة شنيعة لأحد الخونة... هذه الحوادث والأمثلة من الكثرة بحيث يمكن تأليف مجلد كامل عنها لكل أمة.

* * *

آه... آه أيتها الشهرة القاتلة، وأيتها الشهوة الكافرة وأيها الطمع الخالي من الشرف! كم من روح مر من دياركم فذبل من الزيارة الأولى!! وكم من قلب سقط في دياركم مثل أوراق الخريف الصفراء!! وكم من قامة سامقة

سمعت ضحكاتكم المغرية فتركت المعبد وأصبحت من رواد الحانات!! أجل كم من شجاع جاء إليكم فتحول إلى جبان رعديد، وكم من رجل تحول إلى مخنث وخصي وكم من شابٍ شابَ من قربه منكم ثم ارتحل.

أيها السائح

الإنسان سائح، والكون معرض للمشاهد الملونة، ومكتبة زاخرة مطروحة لنظره وتأمله وسياحته. وهذا السائح أُرسل إلى هذا العالم لكي يقرأ هذه الكتب ويزيد من معرفته. هذه السياحة الممتعة لا تتيسر للإنسان إلاّ مرة واحدة. وهذه السياحة الوحيدة تكفي بالنسبة لصاحب العقل الرشيد والقلب اليقظان لإنشاء جنات كجنات عدن وكجنات إرم ذات العماد، أما بالنسبة للذين يعيشون مغمضي العيون فلا تكون سوى لحظة عابرة تأتي ثم تمضي بسرعة.

* * *

الذين يتأملون قوانين الطبيعة وقوانين الحياة بعمق ويعرفون قيمتها يرون في ألوان الزهور وفي حركة الأغصان وفي هدير الرعود وفي تغريد الطيور جمالاً لا يمكن وصفه، ويرون في كل صوت تقديساً وتسبيحاً لصاحب القدرة اللانهائية. ويرون في الضوء والحرارة والجاذبية والعلاقات الكيميائية وفي القوانين التي تحكم الأحياء وتسوقهم آثار تجليات إلهية.

* * *

كلما انسلخ الروح من هذا العالم المادي المليء بالضوضاء وانغمر في أعماق "عالم الوحدانية" شاهد التجليات الإلهية المشرقة بشكل أوضح، فيكاد يغيب عن وعيه.

هؤلاء الذين سموا إلى الوصال الإلهي مثل هذا السمو وتركوا أنفسهم بين

أمواج المد والجزر للوجد الإلهي واستغرقوا فيه، يرون في المناظر الصامتة للسهول الوحيدة الممتدة على مد البصر، وفي الحياة الزاخرة في أعماق المحيطات، وفي الوقفة الوقورة للجبال الشاهقة التي تناطح السحاب، وفي ظلام المساء الذي يداعب السفوح الخضراء، وفي الروائح العطرة المسكرة للزهور الساحرة المنتشرة في الحدائق، وفي منظر قطرات الندى وهي تبتسم فوق الزهور الصغيرة وتهتز مع النسيم فتسحر الألباب وتشرح القلوب... يرون في هذه المناظر تجليات وانعكاسات من جماله هو.

* * *

ماذا يضرنا إن لم نحط به علماً؟! كل صوت إشارة ورسالة منه. يقول الأديب والحكيم الألماني "جوته":

"إننا نحدس وجود الله في قلوبنا وفي الطبيعة، فما أهمية إن عجزنا عن معرفة ماهيته؟ أجل! فماذا نعرف حول الماهية الإلهية؟ حدسنا حول الله عاجز ومحدود ولا يغني شيئاً. وحتى لو ذكرناه بمئات من أسمائه وصفاته فإننا سنبقى دون الحقيقة بكثير. فالوجود المطلق للألوهية لا يتجلى في الإنسان فقط، بل في كل صغيرة وكبيرة وفي كل حادثة دقيقها وخطيرها وفي الظواهر المتصفة بالقوة والغنى للطبيعة. فهل من الممكن أن تكون الأوصاف البشرية كافية للإحاطة بمثل هذا الذات الأكمل؟" هذا ما يقوله "جوته"، وهكذا يحول الأنظار نحو الذات الإلهية المعلومة والمجهولة معاً، والمتجلية بآثارها في العالم وفي الكون.

* * *

نحن خرجنا إلى سياحة دائمة لا تنتهي نحو ذلك الذات الأقدس الذي ستر ذاته عن العيون وتجلى بآثاره... هدفنا أن نكون دائماً في الطريق الموصل إليه، وندخل من الأبواب المتفتحة عليه... نحن في رحلة أبدية نحوه... فما دام هذا العالم موجوداً فرحالنا مشدودة دوماً إليه وقلوبنا تتغنى بحبه... كيف لا ولم نأت

إلى هذا العالم إلا لكي نعرفه! ولا نعرف وظيفة أعظم وأجلّ من هذه الوظيفة... نحن جميعاً ظل من ظلال وجوده... أما هو فمصدر ومنبع ومرجع كل شيء.

* * *

هو الذي فجر المياه من الأرض، وأسال العيون والينابيع بكرمه... هو الذي ألبس الشمس تاجاً من الضوء والحرارة، وزين الأرض بآلاف من الورود والزهور وألبسها آلافاً من الحلل... السماوات والأرض والبحار الواسعة منه... السحب والغيوم تنظر إليه بعين البحار، والبحار تسبح له بلسان الغيوم. هو الذي ملأ بطن الأرض بآلاف من التحولات والعمليات، وصبغ المرجان باللون القاني... الشموس عبيد على بابه، والعوالم واقفة أمامه مثل أسرى كبلت أقدامهم وأرجلهم بالسلاسل.

* * *

ياخالقي العظيم! كل ما في العالم من ملك وسلطنة تحني هاماتها في ظل رايتك... وكل السلاطين عبيد عندك... كل شيء يهرع نحوك ليلتمس منك الوجود، أما أنت فموجود بذاتك دون حاجة لأحد... الموجودات الوقتية تدخل عالم الوجود وتأخذ أشكالها ثم تنطفئ وترحل. أما أنت فبريء من كل هذا ومستغن عن كل شيء. أنت واحد أحد، لا شبيه لك ولا مثيل ولا تحتاج إلى أحد. الوجود بأجمعه يطلب المدد من وجودك الأحد الصمد. أحديتك واحة وجنة للظامئين في الصحارى، وماء كوثر لهم. الأرض باقية بقدرتك، والسماء منتظمة بقدرتك وإرادتك. ولولا أن الكون كله مستند إليك لتناثرت النجوم تناثر حبات المسبحة في أرجاء الكون.

* * *

سعدنا جميعاً بك... وجدنا طعم السعادة بمعرفتك... كل سعادة لا تشير إليك فنحن برآء منها، ونلعن مثل تلك السعادة... أجل سننسى كل شيء لا يتحدث عنك ونقطع علاقتنا معه.

* * *

اللهم يا ذا الرحمة التي لاتُحد! نحن عبيد عند بابك! لم نسجد لأحد غيرك، ولم نكن عبداً لأحد سواك، وسنظل هكذا في الدنيا وفي الآخرة. لم نشتك لأحد غيرك، فإن فعلنا ذلك دون قصد فاقبل توبتنا من ذلك، واقبل رجوعنا إلى بابك وساحتك، واملأ أقداح هؤلاء الملازمين لبابك لترتسم البسمة على هذه الشفاه التي نسيت شفاهها البسمة منذ عصور.

* * *

يا أمل المحزونين والمكروبين ويا مصدر سعادتهم! يا صاحب الغرباء! يا شفاء القانطين واليائسين! افتح ستاراً لعبيدك الحيارى، وأطفئ ظمأهم وكن دواءً لدائهم! كم كنا نود لو نستطيع شرح لوحات الجمال التي وهبتها للعالم، وانعكاسات ألوان الجمال هذه في قلوبنا للآخرين. ولكن إن قصرنا في هذا... وإن عجزت كلماتنا وبلاغتنا عن هذا فاغفر لنا واصفح عنا وتب علينا يا تواب...

الحرص على المنصب

إلى جانب وجود بذور خير لكثير من الأمور في الإنسان وفطرته توجد بذور شر كذلك عنده من أجل تحقيق مصالح عديدة.

فمثلاً إلى جانب خصال الإخلاص والتضحية والوفاء والاستغناء وغيرها من الخصال الحميدة في الإنسان، نرى بجانبها في الأغلب حب المنصب وحب الجاه والشهرة وغيرها من الخصال السيئة التي تميت القلب وتشل الروح. لذا فعندما نؤسس علاقاتنا مع الناس يجب أخذ وجود هذه الجوانب والخصال بنظر الاعتبار لكي لا نُصاب بخيبة الأمل.

* * *

يكاد لا يخلو أحد من حب المنصب والشهرة، وذلك بدرجات متفاوتة. فإن لم يتم إشباع هذه الرغبات عن طريق مشروع لدى الذين لا يستطيعون

إنقاذ أنفسهم من هذه الأحاسيس والمشاعر أصبح من المحتمل انقلابهم إلى أشخاص ضارين لأنفسهم وللمجتمع الذي يعيشون فيه. ويشبه هذا القيام بمحاولة منع جسم مشبع بسائل من طرح هذا السائل خارجاً. مثل هذه المحاولة ستؤدي إلى توتر نفسي وضرر. فإن لم يتم إشباع هذه الرغبة المضطربة في مثل هذه القلوب المضطربة وغير الناضجة والمغلوبة على أمرها بطريقة مناسبة لم يكن هناك مفر من وقوع أضرار في مجال الدعوة.

كل حركة تصدر من هذه القلوب الفجة وغير الناضجة وكل فعالية تكون غايتها إشباع هذه الرغبة النفسية. ومع أن هذا الأمر يُفسد الروح ويجرحه إلاّ أنه قد يؤدي أحياناً إلى درء بعض المفاسد وبعض الشرور في نهاية المطاف. لذا يعد أحياناً "أهون الشرين" بل قد يعد خيراً بطريق غير مباشر. فالذي وهب حنجرة قوية وصوتاً جميلاً فلم يقم باستغلال هذه الهبة في أغانٍ فاجرة تدعو إلى الفحش وتحرض عليه، بل قام بترتيل آيات الله أو أنشد مدائح للرسول ﷺ وأشبع رغبته عن هذا الطريق يكون أقل ضرراً، بل ربما كان عمله هذا خيراً محضاً بالنسبة للبعض.

* * *

الصدق والإخلاص هما روح كل عمل منفذ ومنجز، وهما أيضا صفة لمؤدي ذلك العمل. وكل عمل لكي يحوز على رضا الخالق وقبوله يجب أن يتم بصدق قلبي ودون انتظار أي مقابل، وألاّ يدخل ذلك القلب أي نية سوى نية نيل رضا الله تعالى. ولكن نجاح كل فرد في هذا الخصوص وبهذا المستوى ليس هيناً. لذا يقيّم هؤلاء بالكفة الراجحة عندهم من الخير والشر. أجل فهناك أمور تغلب فيها ناحية المظاهر إلاّ أنه لا يمكن الادعاء بأنها ضارة بمبادئنا وأفكارنا وبالناس ضرراً أكيداً.

قد يخلط هؤلاء رغباتهم الشخصية في الأعمال والخدمات التي يقومون بها، وقد لا يفكرون في رضا الخالق في كل حين، وقد لا يئنون ندماً أمام

أخطائهم، ولا يعرفون مثل هذا الندم. إلاّ أنه لا يمكن القول أبداً أنهم في عقيدتهم وفي اتجاه سلوكهم ليسوا بجانب الحق تعالى.

* * *

ومع كل هذا إن قام كل فرد من الأفراد في جماعة تؤدي خدمات الإيمان بمحاولة تمثيل الجماعة في الساحة التي يعمل فيها بشكل مستقل، فسد نظام الجماعة وانقلب كل شيء رأساً على عقب، لأن الآخرين سيحاولون تقليده في رغبة الظهور والشهرة وهكذا تعُمُّ الفوضى، إذ ينفتح الباب أمام الحركات الفردية بسبب الأنانيات الشخصية، ويختلط الحابل بالنابل وتزول السيطرة المركزية وتنهدم تماماً.

* * *

إن قام أصحاب القابليات الكبيرة وأصحاب الكفاءات والحركة بطلب حصة الأسد حسب قابلياتهم وكفاءاتهم الشخصية في الحكومة أو في أي مؤسسة، أصاب الشلل تلك الحكومة ودالت تلك الدولة، وتحولت تلك المؤسسة إلى مخلوق غريب ذي مئة فم. فالحكومة تبقى قائمة ما دامت قواعد الأوامر والطاعة سارية وسالمة وموجودة كوجودها في الجندية والعسكر. وادعاء العكس إنكار صريح للمبادئ وللعناصر التي أمنت بقاءنا منذ مئات الأعوام وعدم رؤية لها.

* * *

يا ليت القلوب قنعت بما وهبها الله تعالى وبحثت دائماً عما يرضيه. ولكن الظاهر أن بعض القلوب الأنانية التي قنعت بالضوء الخافت للمصباح الذي يحملونه في أيديهم وأدارت ظهرها لضوء الشمس سوف لن تهتدي إلى الطريق الصحيح حتى تشفى من قصر نظرها.

دوامة الأنانية

إن أمانة الأنانية المنعمة على الإنسان هدية مقدسة معطاة له لكي يبحث عن الحقيقة الكبرى ويجدها... هدية يجب ضربها بالأرض وكسرها حالما تنتهي وظيفتها، وإلاّ كبرت وتضخمت وانقلبت إلى عفريت يبلع صاحبه.

يدرك الفرد بها خالقه جل وعلا، ويدرك قدرته وعلمه وإرادته اللامحدودة، وكونه بريئا من كل نقص، ثم يقوم بإذابتها في لهب معرفة الله وحب الله الملتهب في صدره، فلا ينظر ويرى إلاّ بالله... به يفكرو به يعرف ويصل به إلى المعرفة... وبه يتنفس أنفاس الحق.

* * *

البقاء أنانياً ليس إلاّ تعبيراً عن رؤية الحق دون إدراكه وفهمه، وعدم قطع أي مسافة في طريق اللانهاية، بل البقاء في المكان نفسه معصوب العينين. والذين يفكرون دائماً وأبداً في نطاق الأنانية، ويقومون ويجلسون بها، ويبحثون ما يبحثون عنه في إطارها لن يتقدموا خطوة واحدة إلى الأمام وإن مشوا سنوات وسنوات وقطعوا الفيافي والقفار.

* * *

الأعمال المنفذة حتى وإن كانت أشق الأعمال وأكثرها إرهاقاً إن عملت من أجل الأنانية لم تعد فضيلة على الإطلاق، ولم تحز على القبول الإلهي. والذين يعجزون عن تجاوز أنفسهم، ولم يمزقوا أنانيتهم والمحرومون من البصيرة... حبطت أعمال هؤلاء... وحرموا من كل شيء، حتى أن كل أعمالهم وتضحياتهم تذهب هباء منثورا.

* * *

لما كانت الأنانية صفة شيطانية، فإن مصير المنخدعين بها هو مصير الشيطان نفسه دون شك. بل إن دفاع الشيطان ومعذرته لم تكن إلاّ نغمة

أنانية. فالنبي آدم عليه السلام عندما هفا هفوة، أطلق دموع الندم والتوبة ورجع إلى الله واستغفره، بينما نرى في كل كلمة من كلمات اعتذار إبليس عناداً وغروراً وعدم احترام وعدم توقير.

* * *

قد تنشأ الأنانية من العلم، أو من الثروة والسلطة، أو تنبع من الذكاء، أو تتضخم بالجمال... وهناك أنواع أخرى. ولما كان الإنسان لا دخل له في إيجاد هذه الصفات، لذا فأي ادعاء أو دعوى تكون وسيلة لغصب حق صاحب الملك الحقيقي وجلب لسخطه، وتؤدي في النهاية إلى هلاك أرواح هؤلاء المغرورين.

* * *

عندما تنضم الأنانية الفردية والشخصية إلى أنانية جماعة نراها تتضخم وتأخذ شكلاً عدوانياً. وتبدأ هذه الأنانية المتوحشة بتحويل كل شيء -حتى الأمور الخيرة- إلى غيوم سوداء تقوم بإمطار كل ما عرفه البشر من شرور.

أجل! فالعلم يكون في يد هؤلاء ضياء كاذباً ووسيلة للثروة والغرور والمظاهر، والقلب جحراً للأفاعي والحيات، والجمال فتنة للآخرين وضرراً، والذكاء وسيلة للضحك على الذقون.

* * *

الفلسفة كانت ولا تزال تمثل الأنانية، والنبوة تمثل الحق والتواضع. طريق الفلسفة حافل بالشكوى والشبه والخداع والشدة والغضب، وصدامات عنيفة كصدامات جبال الثلج وتفتتها، بينما نجد النور في طريق النبوة وانشراح القلوب ونجدة الملهوف والتساند والتعاون.

* * *

الرغبة في عرض النفس للآخرين والتحدث على الدوام عنها ناتجة عن عقدة الشعور بالنقص. ويستمر هذا الوضع عند هؤلاء حتى تلقيهم دروساً جيدة في تربية النفس والروح يصلون بها إلى فداء وجودهم لصاحب الملك

الحق. كل أمر من أمورهم تفوح منه رائحة الأنانية وحب المظاهر. وكل مظهر من مظاهر تواضعهم إما خداع ورياء، أو محاولة لكسب الآخرين... سحقاً وألف سحق للأنانيين أعداء الحق!..

التواضع

الذين يلصقون خدودهم بالأرض هم أصحاب المراتب العليا عند الحق تعالى وعند الناس كذلك. أما الذين يشمخون بأنوفهم ويستعلون على الناس ويحتقرونهم فلا يجدون سوى البغض من الناس والعذاب من الله تعالى.

* * *

الذين يفتتنون بأنفسهم ويعجبون بها ويعظمونها يبرهنون على نقصان عقولهم وفجاجة أرواحهم. والإنسان العاقل والناضج روحياً يعلم أن كل مزية من مزاياه هبة من الله تعالى. لذا تراه في شكر دائم وفي خضوع وخشوع أمامه.

* * *

التواضع يجلب تقدير الخالق ورضاه حتى وإن جلب استهانة الناس أو إزدراءهم، لذا فهو يشرح القلب. أجل! فالشخص المتواضع يكون قد دخل -بإحساسه برضا الله- في درع حصين، وقلعة منيعة وإن استهان به الناس واستخفوا به.

* * *

التواضع علامة على نضج وعلى فضيلة الشخص. والكبرياء علامة نقصه وانخفاض مستواه. أكمل الأشخاص هم الذين يتعارفون مع الناس ويمتزجون ويؤسسون علاقات المودة معهم. وأنقص الأشخاص هم الذين يكرهون مخالطة الناس ويستنكفون من ذلك، لأن ذلك لا يتلائم مع غرورهم وكبريائهم.

* * *

الذين يعيشون في مجتمع لا يعرف قدرهم وقيمتهم، سرعان ما يعلون نحو المعالي بسبب سجية التواضع عندهم. أما المبتلون بعقدة الكبرياء فسرعان ما يكشفهم المجتمع فيتحولون بمرور الزمن إلى عنصر غريب ومنفور في محيطهم.

* * *

إن ارتفاع أي شخص إلى مرتبة الإنسان لا يكون إلاّ بتواضعه. ولا يظهر هذا التواضع ولا يتوضح إلاّ عندما لا يستطيع المنصب والجاه والشهرة والعلم (وهي الأمور التي يقدرها العوام) على تغييره. فإن استطاع أحد هذه الأمور تغيير سلوكه أو تفكيره عند ذلك لا يمكن الحديث عن أي تواضع، ولا عن ارتفاعه إلى المستوى اللائق بالإنسان.

* * *

يكاد يكون التواضع مفتاحاً لجميع السجايا الحميدة. والذي يملك هذه السجية يستطيع امتلاك السجايا الحميدة الأخرى. ومن يحرم منها يحرم – على الأكثر – من السجايا الحميدة الأخرى. فبينما استطاع النبي آدم عليه السلام بتواضعه أن يسترجع كل ما فقده من نفائس تتجاوز قيمتها العالم المادي، أصبح الشيطان الذي تورط في الذنب معه ضحية لغروره وكبريائه.

* * *

لم يسمُ في التكايا والزوايا سوى من وضع خديه على التراب. ولم يستفد في المدارس الدينية والمدارس الاعتيادية سوى المتواضعين خلقاً، وكانوا هم الذين أفادوا المجتمع. أما الذين شمخوا بأنوفهم، وخالفوا أصول وآداب الزوايا والتكايا، ولم يسمح لهم غرورهم بالجلوس وتلقي العلوم من حلقة تدريس عالم فقد ذهبوا وضاعوا.

* * *

لما كانت الكبرياء من صفات الألوهية، فإن مدعي الكبرياء من المغرورين تعرضوا على الدوام للغضب الإلهي وأُهلكوا بيد قدرته. أما الذين عرفوا حدودهم فتواضعوا فقد سموا ووصلوا وسعدوا بالقرب الإلهي.

الإنسانية

على الإنسان أن يجعل من نفسه ميزاناً يزن به كل شيء في سلوكه تجاه الآخرين. فما يريده لنفسه عليه أن يريده للآخرين. وعليه ألاّ ينسى أنه عندما يكره تصرفاً معيناً تجاهه فإن الآخرين أيضاً يكرهونه، فيتخلص بذلك من جميع التصرفات الخاطئة من جهة، ويسلم من إيذاء الآخرين وجرح قلوبهم.

* * *

أنت ترى أن الإحسان المسدى إليك يلين قلبك ويزيد من محبتك وتقديرك لصاحب الإحسان، إذن تكون قد اهتديت إلى الطريق الذي يوصل الآخرين إلى محبتك وتقديرك.

أحسن إلى الأناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان

إذن فالإحسان أفضل طريق للوصول إلى قلوب من ترجو منهم خيراً أو تخشى من جانبهم شراً.

* * *

لا يظهر كمال الإنسان ونضوجه إلاّ عندما لا ينحرف عن طريق الحق حتى بالنسبة للأشخاص الذين أساءوا إليه، بل لا يتردد في إسداء الخير إليهم. أجل! على الإنسان ألاّ ينحرف عن الإنصاف وعن المروءة حتى تجاه من رأى منه الإساءة والشر. ذلك لأن القيام بالإساءة تصرف حيواني، ومقابلة الإساءة بالإساءة نقص خطير في الإنسان. أما مقابلة الإساءة بالإحسان، ومقابلة الشر بالخير فعلامة من علامات السمو والشهامة.

* * *

ليست هناك حدود في إسداء المعروف إلى الآخرين، فالإنسان الشهم قد يضحي حتى بروحه من أجل الآخرين. ولكن هناك شرط واحد لكي تكون

مثل هذه التضحية علامة فضيلة، وهو أن تكون هـذه التـضحية بـصدق وإخلاص وصفاء نية، وبعيدة عن التعصب العرقي والقبلي.

* * *

إن إنسانية أي شخص ومروءته وشهامته تكون واردة بدرجة قربه مـن أصدقائه وأحبائه وبدرجة استمرارية هذا القرب. لذا فالحديث عن الشهامة دون إظهار هذا القرب منهم يبقى مجرد ادعاء فقط.

أما إسداء المعروف إليهم مقابل معروفهم وجعل ذلك شرطاً، أو القيـام أحياناً بعقابهم بقطع هذا المعروف عنهم، فتصرف يدل على عـدم نـضج الروح والعجز عن إدراك الحقيقة أو الوصول إليها.

* * *

من أفضل أنواع المعروف التي يمكن للإنسان عملها تجاه الآخرين هـو التعامي عن رؤية التصرفات غير اللائقة الصادرة منهم وتجاهلـها وتناسـي تقصيراتهم. أما البحث عن أخطاء الآخرين وتقصيراتهم وعيـوبهم فـشيء خارج عن نطاق الأدب. أما إشاعة هذه العيوب والتحدث عنها هنا وهناك فنقيصة لا يمكن الصفح عنها. أما ذكر هذه العيوب وتعـدادها لأصـحابها فضربة قاصمة للإخاء وللمودة التي تربط بين الأفراد، لأن الأنانية التي تثـار عنده ستمنع تأسيس المودة مرة أخرى.

* * *

والإنسان الناضج والكامل هو الشخص الذي يعد أكبر معروف يسديه للآخرين شيئاً ضئيلاً، وأصغر معروف يُسدى إليه شيئاً كبيراً. مثـل هـذا الشخص يكون قد سما إلى الخلق الإلهي ووصل إلى الاطمئنان القلبي. مثـل هذا الشخص لا يمن بإحسانه ومعروفه أبداً، ولا يشكو من الإهمال وعـدم الاهتمام الذي قد يتعرض له.

الصداقة والإخاء

من يكرم أصدقاءه وإخوانه ويعزهم يربح من يدافع عنه ضد أعدائه ويذود عنه.

* * *

حاجة الإنسان إلى أصدقاء مخلصين لا تقل أهمية عن حاجاته الضرورية الأخرى. ومن وصل إلى الأمن والطمأنينة من ناحية أصدقائه وأحبائه يكون قد وصل إلى الطمأنينة في كثير من النواحي.

* * *

الإنسان العاقل هو الإنسان الذي عندما تسوء علاقاته مع محيطه، يسعى بسرعة إلى إزالة خلافاته ويجدد صداقاته ويؤسسها مرة أخرى. والشخص الأعقل هو الذي لا يقع أبداً في سوء تفاهم أو خلاف أو قطيعة مع أصدقائه.

* * *

إن استمرار العلاقة بين الأصدقاء واستمرار المحبة والتآلف بينهم -ضمن نطاق الشرع- مرتبط بمدى الفهم والإيثار الذي يبدونه فيما بينهم. والذين لا يملكون نحو الآخرين مبدأ التضحية في أفكارهم وفي سلوكهم وتصرفاتهم سرعان ما تنطفئ الصداقة بينهم وتزول.

* * *

ومصداقية الصداقة الموجودة عند أحدهم نحو أصدقائه تقاس بمدى مشاركته لهم في آلامهم وفي أفراحهم. فمن لا يبكي لبكاء أصدقائه ولا يضحك لضحكهم لا يعد صديقاً وفياً.

* * *

محك الصداقة والأخوة الحقيقية هو استمرار هذه الصداقة وهذه الأخوة

عندما يكون الأصدقاء في ضيق مادي وفي ظروف صعبة. فمن لا يكون بجانب أصدقائه في الأوقات الصعبة وفي الظروف الخطرة فلا علاقة له مع مفهوم الصداقة.

* * *

الشخص الذي يكثر نزاعه ونقاشه مع المحيطين به يقل أصدقاؤه. ومن أراد زيادة أصدقائه ورغب في أصدقاء أوفياء، عليه الابتعاد عن الدخول معهم في نقاشات لا طائل منها.

* * *

الصداقة قبل كل شيء عمل قلبي. فمن توهم أنه يستطيع الحصول عليها بالرياء والخداع فهو مخدوع. وقد يجتمع لفترة محدودة حول أمثال هؤلاء ثلاثة أو أربعة من الأفراد البسطاء المنخدعين بتملقه ومداهنته، ولكن لا يوجد أي احتمال لاستمرار هذه الصداقة مدة طويلة.

* * *

كما يوجد هناك أعداء خفيون، كذلك هناك أصدقاء خفيون. والصديق الخفي هو الذي يعد إظهار نفسه مداهنة. لذا فكما نسعى لمعرفة أعدائنا، علينا السعي ألا نهمل السعي لمعرفة أصدقائنا. لأنه من الممكن أن يكون الأصدقاء الذين نصادفهم دون بحث غير موثوقين تماما.

* * *

الصديق الحق هو الذي يرعاك في أوقات الضيق، وليس الذي يهز رأسه موافقا لك في كل أمر.

* * *

إن أكرمت نفسك وأعززتها، أكرمك الآخرون كذلك وأعزوك.

حقوق الوالدين

الوالدان أولى الأشخاص بالاحترام عند كل إنسان. والـــذي يقـــصر في احترامهما يكون عاصياً لله تعالى. ومن آذاهما تعـــرض للإيـــذاء آجـــلاً أم عاجلاً.

* * *

منذ اليوم الأول لتلقي الإنسان هبة الحياة ثم ترعرعه شيئاً فشيئا، يكـــون حملاً وعبئاً على أكتاف والديه. وليس في الإمكان هنا تعيين عمـــق شـــفقة الوالدين ورحمتهما، ولا مقدار العبء الذي يتحملونه. لـــذا فاحترامهمـــا وتقديرهما واجب من جهة، ودين إنساني من جهة أخرى.

* * *

الذين يعرفون قدر الوالدين. ويعدونهما وسيلة للوصول إلى الرحمة الإلهية هم المحظوظون هنا في الدنيا، وهناك في الآخرة. أما الذين يستثقلون وجودهما ويملون من استمرارهما في الحياة، فهم التعساء والمرشحون لأرذل حياة وأسوئها.

* * *

بدرجة توقير الإنسان لوالديه يكون موقراً لخالقه تعالى، ومن لا يوقرهما لا يوقر الله تعالى. لذا فما أعجب وأغرب حادثات الأيام التي يدعي فيهـــا البعض حب الله تعالى -دع عنك الذين لا يوقرونه- ولكنهم لا يتوانون أبداً عن مخاصمة والديهم وعدم احترامهما!

* * *

على الأبناء احترام وتوقير والديهما التوقير كله. وعلى الوالدين الاهتمام بالجانب الروحي والقلبي للأبناء قدر اهتمامهما بحاجاتهم المادية والجـــسمية. لذا عليهما تسليم الأبناء إلى من يستطيع تربيتهم التربية الروحية الصحيحة.

لذا فما أكثر جهل الوالدين الذين ينسون الجانب الروحي والقلبي للأبناء، وما أتعس هؤلاء الأبناء الذين يذهبون ضحية جهل والديهم.

* * *

الأبناء الذين لا يبالون بحقوق الوالدين ويرفعون راية العصيان تجاههما ليسوا إلاّ وحوشاً في صورة إنسان. أما الوالدان اللذان لا يبذلان جهدهما لتأمين الحياة المعنوية الصحيحة لأبنائهما فهما والدان غداران لا يملكان الرحمة. والأسوأ منهما من يبذل جهده لقطع الطريق أمام الأبناء الذين اهتدوا إلى الطريق الصحيح.

* * *

البيت هو لبنة بناء المجتمع، فكلما أبدى أفراد البيت الاحترام والتوقير لحقوق ووظائف الآخرين، كان ذلك المجتمع متيناً وصحياً، وإلاّ فمن العبث العثور على الاحترام والشفقة في مجتمع أضاع هذا الاحترام والشفقة في بيوته.

حقوق الطفل

عندما خلق الإنسان خلق مع أليفه وصديق حياته. ولم يبق وحده إلا مدة قصيرة. لذا فإن خلقه مع زوجه يدل على أن الزواج شيء فطري للإنسان. وأهم هدف لهذه الوظيفة الفطرية هو التناسل. لذا فإن لم تكن الذرية هدفاً للزواج، كان ذلك الزواج عبارة عن مغامرة وتسلية وبقصد اللذة فقط. أما الأطفال الذين يأتون من هذا الزواج فليسوا إلاّ ضحية للحظة لذة.

* * *

لا يستمر نسل الإنسان إلا بالإنسان وحده. فإلى جانب الإنسان الذي ارتفع إلى حياة القلب والروح، هناك أجيال لم تر ولم تلق التربية ولم تنمّ

ملكاتها الروحية فلم تصل إلى مستوى الإنسانية. وإن كانت من نسل آدم عليه السلام فهي مخلوقات غريبة. فما أتعس المخلوقات من الأمهات والآباء الذين كان من نصيبهم تنشئة مثل هذه المخلوقات.

* * *

بنسبة قيام الآباء والأمهات بتزيين الأبناء بالفضيلة يحق لهم أن يقولوا: هؤلاء أبناؤنا. لذا فليس من الملائم للآباء والأمهات الذين يهملون تربية أبنائهم أن يدعوا مثل هذا الادعاء. ولكن ماذا نقول إذن للآباء الذين يدفعون أبناءهم إلى طريق الشر والرذيلة ويبعدونهم عن المستوى اللائق بالانسان؟!

* * *

إن بقاء أمة ودوامها مرتبط بالأجيال التي تنشئها... بالأجيال الصالحة المتشربة بروح الأمة. والأمة التي تفشل في تنشئة الأجيال الصالحة التي تستطيع إيداع مستقبلها بين يديها... مستقبل مثل هذه الأمة مستقبل مظلم. ولا شك أن الوظيفة الأولى في تنشئة الأجيال تنشئة صالحة تقع أولاً على الآباء والأمهات.

* * *

إن قام الآباء والأمهات بواجبهم على نحو صحيح نحو أبنائهم وربوهم تربية صالحة بحيث يكونون ذوي فائدة لأنفسهم ولمجتمعهم فإن الأمة تكون قد ملكت ركناً قوياً ومهماً. أما إن كان العكس، أي أهملوا تربية مشاعر وأحاسيس أبنائهم تربية صالحة فكأنهم يدفعون إلى المجتمع حشرات ضارة.

* * *

عندما تقلم الأشجار، أو عندما تراعى تربية الحيوانات رعاية صحيحة نحصل على ثمرة هذا الاهتمام، ويستمر نسل تلك الشجرة وذلك الحيوان. ولكن عندما تترك الأشجار أو الحيوانات دون رعاية واهتمام لا نستطيع

الاستفادة منها الاستفادة المطلوبة. إذن ألا يستحق الإنسان المرسل إلى الدنيا بألف قابلية بذل الاهتمام والرعاية التي نبذلها لشجرة؟

* * *

يا ابن آدم! أنت الذي تقوم بجلب الأطفال إلى الدنيا، لذا فوظيفة الارتفاع بالطفل إلى ماوراء هذه السماوات تقع عليك وحدك. فكما تهتم بصحة جسمه وتشفق عليه من المرض، اهتم بحياة قلبه وبروحه واشفق على ذلك المسكين وأنقذه بحق الله، ولا تدعه يخسر الدنيا والآخرة.

يُلدغ المؤمن مرة واحدة فقط

لا يرتفع أي فكر أو مبدأ عظيم إلا بنظام فكري موزون، ولا يجد الحياة والأنصار إلاّ ضمن تخطيط صحيح. وعند ذلك يتحول إلى محراب تتوجه إليه أنظار مؤيديه وأنصاره. والمبدأ الذي لا يجد هذا العون وهذه القاعدة من الأنصار والمؤيدين يموت ويزول قبل ولادته.

* * *

القوى التي لا تعتمد في وجودها وعدمها، أو تجمعها أو تفتتها علينا، ولا نؤثر نحن فيها فمن العبث قيامنا بعقد أي أمل عليها. والذين عقدوا تحقيق آمالهم عليها عرفوا أنهم مخدوعون. والذين أسسوا مستقبلهم وبنوه عليها انسحقوا تحت أنقاض ما بنوه.

* * *

إن سمو الفكرة ومتانة التخطيط وإخلاص الأفراد الذين يمثلون تلك الفكرة إخلاصاً قلبياً عميقاً عناصر مهمة في نجاح أي دعوة. ولكن يجب التأكد من عمل الأسباب والعوامل التي يتم اختيارها عند التخطيط لأي بناء بحيث تؤدي إلى النتائج المرتقبة. والذين يعقدون آمالهم على أسباب غير